# ضحيتي الغالية !

بقلم : اسماعيل الحبروك

هل عاد حاجباك الان الى وضعهما الطبيعي بعد ان تخلعت من تأثير تلك المفاجأة الغريبة التي وصلتك مع بزيد الصباح .. وهل راجعت حافظة نقودك جيدا وتأكدت من ان كل شيء فيها على ما يرام .. ورقات البوستة الثلاث وتحقيق الشخصية الذي يحمل صورتك البلهاء وجنيهاتك الثلاثة .. وهي عندك أهم ما تضمه الحافظة ..؟!

لعل هذه أول مرة في تاريخ العالم يعيد فيها نشال شيئاً نشله واستولى عليه وانتقلت اليه ملكيته رغم أنف القانون يعيده الى صاحبه كما هو لم ينقص ذرة واحدة عما كان بل العكس أصارحك القول فأقول إنه اجتاحتني رغبة شديدة في أن أزيد الشيء أشياء .. اتهمني بالخبل أو اتهمني بالغباء أو اتهمني بما تشاء . . . ولكن حذار من أن تتهمني بالغفلة لاني فعلت ذلك .. وفي الواقع أنت مدين في عودة هذا {الكنز} اليك لكشف الحساب الذي وجدته في حافظة نقودك أي مطلوبات الشهر الجديد وبحكم أنني خارج على القانون وخفاش ظلام كان يجب ألا أهتم بك او بحالتك الاجتماعية ولكني ولحسن حظك وجدت فيك الكثير من ماضي الطاهر البشريف الابيض المفلس اذ وجدت في كشف الحساب أن دخلك لا يزيد عن ستة عشر جنيها ومطلوبات الشهر لا تقل عن أربعين جنيها فمن أين تكمل النقص ومن اين تسد الأبواب المفتحة التي حولك والافواه الكريهة التي تتصايح مطالبة بحقوقها . ؟

ولعل هذا المشكل هو الذي شغلك فصرفك عن التنبه ليد {وطواط} النشال الذي حمل الي حافظتك وأحد افراد العصابة التي اتشرف بزعامتها .!!

وراجعت عنك كشف الحساب أيها العزيز فزاد التصاقك بماضي وزدت قربا مني ايتها {النعجة} المحترمة ولا تثرعندما اطلق عليك هذا اللقب الذي حملته قبلك يوم كنت مثلك منذ سبع سنوات . أجل كنت نعجة بكل ما عرف عن النعجة من ذلة وخضوع واستسلام قلت لك راجعت الكشف فاذا بالبند الاول والثاني والرابع والخامس والسابع كلها تتعلق بمطلوبات الزوجة العزيزة حرمكم المصون ففي البند الاول خمسة جنيهات للخياطة وفي البند الثاني ثمانية جنيهات قسط الاسورة والساعة والحلق لزوم الست حرمكم وفي البند الرابع ثلاثة جنيهات فستان حرير مشجر « بدل اللي خسرته الخياطة » وفي البند الخامس ثلاثة جنيهات جزمة صيفي للست حرمكم أيضا وأما البند السابع والأخير فخمسة جنيهات هي المصروف الشهري ليد حرمكم المبجلة !! وأكاد اقع مغشيا علي من الضحك والبكاء معا أمام البند السادس وفيه خمسة عشر قرشاً ثمنا لكرافتة لزوم البيته واستحلفك بأعز ما عندك ألم تثر الست في وجهك لهذا التبذير والاسراف عندما اطلعت على البند السادس المتقدم ذكره . . خمسة عشر قرشا هي كل ما يخصك أيتها ( النعجة ) في قائمة حساب تبلغ الاربعين جنيها . . ؟ ؟

> الق جلد النعجة من فوق كتفيك واستأسد ولو لم تكن قوياً فالنمر الذي ستدفعه غال والنهاية التي ستقبل عليها قاسية . . : والمرأة يا سيدي كائن حي لا يقنع ولا يشبع وهي اضعف ما تكون اذا تظاهرت امامها بالقوة واقوى ما تكون حتى اذا كنت قوياً وتظاهرت امامها بالضعف . . . .

أظنك لم تعد تعترض على لقب النعجة بعد ان أوضحت لك السبب في استحقاقك لك بجدارة كما كنت استحقه انا في الماضي . . .

والان راجع نفسك وألق نظرة أخرى على كشف الحساب ثم أخجل وتوار خلف خجلك واعترف أنك نعجة عريقة بين النعاج ، أربعة

وعشرين جنيها تصل زوجتك شهريا ومرتبك لا يتجاوز ستة عشر جنيها . . أليس هذا خبل ما بعده خبل . . ؟ ! لا شك أنك تستدين لتسد النقص وانت مرهق بالدين ففي ورقة أخرى راجعتها في حافظة نقودك خصصتها لكتابة ديونك فاذا بها تربو على المائة وخمسين جنيها تحولت كلها الى اسوار وأحذية وفساتين وأدوات زينة لزوم الست حرمكم ولا تغضب عندما أسبك وألعنك واقسو عليك فانا انما أسب الرجل الذي كنت في يوم من الايام ألعن النعجة التي تقمصتها فترة من حياتي وأقسو على ماضي الذي قادني الى هذا الحاضر المظلم والذي سيدفعني دفعا الى مستقبل اشد ظلمة . .

منذ عشر سنوات كنت مثلك هكذا انسانا طيبا كريما يدب على الأرض في رفق ليجمع فتات الرزق له ولزوجه التي يحبها والتي يحب اكثر ان يحتفظ بابتسامتها فكنت أفعل المستحيل لاراها باسمة راضيه وكان الويل كل الويل لنفسي من نفسي يوم ألمح مسحة من الشقاء ترتسم على محياها الجميله فكنت أغدق عليها وأسرف في الاغداق حتى أستعيد ابتسامتها . . وهكذا يا صديقي دفعتها دفعا الى أن تطلب ورسمت لها الطريق الى مافوق طاقتي . . الى المطالب التي لا تنتهي ولا تفرغ ولم اكن أقصر في شيء أو أتردد عن شيء بل كنت أحضر كل شيء دون أي امتعاض أو تردد طلبت الي ان ننتقل من بولاق الى الروضة لان بولاق لم تعد تليق بنا ففعلت راضيا مغتبطا . . وفي الروضة اتسعت دائرة حياتنا فزادت نفقاتنا وتشعبت مطالبها واعتدت ألا أرفض لها طلب عودتها على الا أرفض لها طلباً . . عودتها على ذلك فاعتادت فلم أجد بدا في بادىء الامر من الاستدانة ولكن نفذ الاصدقاء ولم تنفذ مطالب الزوج فكان لا بد من باب رزق جديد يغطي هذه المطالب . . وأخيراً وجدت هذا الباب في وظيفة جديدة نقلت اليها . . ولا يتسرب الى ذهنك أنهم نقلوني الى وظيفة ذات مرتب يكفي بل نقلوني الى وظيفة تتطلب من الذي يمارسها ان يكون أمينا وان يكون بينه وبين الشيطان سوء تفاهم مستمر . . ولكن للاسف لم اكن كذلك فبدا الأمر في أوله سهلا بالاتفاق مع متعهدي التوريد الذين اضاءوا لي طريقا لم أكن بحاجة الى أي ضوء لأندفع فيه فقد كانت مطالب زوجتي كالسياط فوق ظهري تدفعني الى ولوج باب الجحيم لا باب التزوير في الاوراق الرسمية . . وظل الامر في الخفاء فقد تحوصلت جرائمي العديدة فلم يلحظها الرؤساء وبدأت أغدق على زوجتي من جديد على نطاق أوسع ولكنها كانت ظمأى لا ترتوي ولا تعرف الشبع أو الاستكفاء . . واتسعت مرة أخرى الدائرة واضطررت الى الانتقال من الروضة الى الزمالك وفرضت علي حياة البذخ وكنت في الشيكات المزورة وجشع المتعهدين أجد دائما تكاليف هذا البذخ .

وأخيرا سقطت النعجة ايها العزيز في يد الجزار الذي لا يعرف الرحمة ولا الشفقة وانكشف الغطاء عن خائن الأمانة وانفجرت حويصلات جرائمي فزكمت الأنوف . . وقدمت الى المحاكمة بتهمة التزوير والاختلاس وانتقلت من الزمالك الى طره مكبلا في الاغلال لاقضي سبع سنوات اشغال شاقة وفي الليمان تعرفت بأفراد العصابة التي أعمل معها والتي كنت أنت ضحية لأحد افرادها في الاسبوع الماضي

وخرجت من السجن لاجد زوجتي قد طلقت مني وتزوجت ولم أحاول ان اعتب عليها فقد كانت مطالبها أقوى من الانتظار . . وانتظار من . . ؟ انتظار سجين مفلس سيخرج بعد سبع سنوات ليواجه المجتمع الذي سرقه وخانه

وأنت ياعزيزي أراك بعد هذا الكشف الذي اطلعتك عليه قد قطعت شوطا كبيرا نحو الهاوية التي أقيم فيها الان والتي اعتبر من أعيانها الاماثل أنتهيت من فترة الاستدانة واستنفذت الدائنين عن آخرهم أصبحت على ابواب فترة الاختلاس لو اتيحت لك الظروف المهيئة التي تتاح دائما في بادىء الامر لكل مختلس . .

وأنا اكتب اليك وارد لك نقودك وحافظتك فقط لألفت نظرك واحذرك واقدم لك مثلا حيا شقيا وعظة لعلها تجدي معك ألق جلد النعجة من فوق كتفيك واستأسد ولو لم تكن أسدا فالثمن الذي ستدفعه غال والنهاية التي ستصل اليها قاسية والمرأة ياسيدي هي المرأة كائن حي لا يقنع ولا